عبد العزيز بن عثمان التويجري،

اللحم الحلال قبل مشاكل البطالة والقدرة الشرائية..

أحمد الميداوي

tbou20@yahoo.fr

عيد على فرنسا

ما لم يكن متوقعا على الإطلاق أن يبرز اللحم الحلال كقضية جوهرية في الحملة الانتخابية الرئاسية في فرنسا.. الضجة افتعلتها المرشحة اليمينية المتطرفة، ماري لوبن، التي دشنت حملتها بتخويف الفرنسيين مما تعتبره «أسلمة فرنسا»، مدعية أن كل ما يأكله الفرنسيون هي «لحوم ذُبحت وفقا للشريعة الإسلامية»، ومطالبة باتخاذ ما يلزم من إجراءات لـ«منع المسلمين من إقحام الدين في غذاء الفرنسيين» حتى لا يصبح النمط الغذائي الإسلامي جزءا من الموروث الاجتماعي الذي قد يتأصل مع تلاحق السنين في المطبخ الفرنسي الذي يعتبره الفرنسيون أغلى كنوزهم. المؤسسة الوطنية للحوم، والرابطة الرئيسية لصناعة اللحوم، ومعهما المديرية العامة للأغذية، اعتبرت تصريحات لوبن بأنها ذات صبغة «انتخابوية» محضة لا سيما وأن الرجل الذي يدير ويملك ويسيطر على المذابح الإسلامية في الضاحية الباريسية وشمال فرنسا، البارزين في اللجنة المركزية الوطنية» التي تتزعمها مارين لوبن، وهو رجل أعمال يدعى «بول لامواتي»، رد قبل أسبوع على «رئيسته» في رسالة استقالة بقوله « إن المعادين للحوم الحلال لا يعرفون أنها أفضل أنواع اللحوم، وأكثرها نظافة».

فرانسوا هولاند

ولأنها ذات خلفية سياسية وعدائية، فإن هذه الحملة كانت ستخمد في مهدها، لولا أن ساركوزي ارتأى أن يترك جانبا مشاكل البطالة والقدرة الشرائية وأزمة الديون. لينقض على الموضوع جاعلا منه مادة انتخابية رئيسية يتغذى منها لاجتذاب أصوات اليمين المتطرف، وتعويض تأخره عن منافسه الاشتراكي فرنسوا هولاند الذي يتقدمه بفارق كبير في جميع استطلاعات الرأي. وقد عمد إلى انتقاد طريقة الذبح الإسلامية، لكن بطريقة محتشمة، تاركا لرئيس الحكومة، فرانسوا فيون، المجال للتهجم على الديانة الإسلامية بقوله إن مثل هذه الطريقة في الذبح هي من «الأساليب القديمة التي لم تعد تتلاءم مع العصر». موضوع اللحم الحلال الذي يستهدف مباشرة نحو ستة ملايين مسلم يُتهمون بانتظام بأنهم غير مندمجين بشكل كاف في المجتمع، أصاب بشكل غير مباشر اليهود الذين يتناولون لحم الـ«كاشير» المذبوح أيضا وفق العقيدة اليهودية، وهو ما دفع بحاخام فرنسا الأكبر، جيل برنايم، إلى الإعراب عن «صدمته» من تصريح فيون، فيما أبدى المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية الذي يتجنب عادة التدخل في الجدل العام، تخوفه من أن يستخدم الإسلام والمسلمون «كبش فداء في هذه الحملة». الانتقادات جاءت أيضا من داخل فريق ساركوزي نفسه، حيث اتهمت وزيرة العدل السابقة، المغربية رشيدة داتي، فيون بالخروج عن «دوره»، فيما اعتبر وزير الخارجية، آلان جوبيه، مسالة اللحم الحلال «مشكلة مصطنعة».

والسؤال الذي يجب طرحه وإعادة طرحه هو لماذا يحاول البعض إنكار حق المسلمين في إثبات ذواتهم من خلال جغرافيا مسلمة تبني وجودهم على أساس التميز الإسلامي..؟ وهل انتقلت عدوى اليمين المتطرف إلى أحزاب وتنظيمات عريقة، حتى تنظر هي الأخرى في صحن الآخر وما يفترض أن يكون فيه؟ فتسويق اللحوم الحلال أو إقامة «مطاعم حلال» لا يخرجان عن كونهما عملية تحكمها معادلة الربح والخسارة في مناطق ذات كثافة سكانية مسلمة، كما هو الشأن تماما بالنسبة لمطاعم «الكاشير» التي انتشرت في مناطق الكثافة اليهودية، ومطاعم «سباغيتي» في مناطق الكثافة الإيطالية... ولعل من فضائل الحضارات والثقافات على البشر أن الطعام، وإن كان حاجة عالمية مشتركة، إلا أنه ليس قيمة عالمية موحدة في المضمون والشكل.. فالمرء يخرج من بيته أو من مقر عمله في المساء وقد أرهقته متاعب الحياة، فيجد أمامه خيارات شتى، عدس أو أرز؟ بقر أو أسماك؟ خنزير أو حلال؟ فيشعر بحرية في اختيار ما يبتغيه من طعام، وهي حرية لا تقل أهمية عن حريته في الرأي والتعبير. فمن العبث أن يثير البعض في مجتمع رأسمالي مثل المجتمع الفرنسي، حق الآخر في اختيار البضاعة الغذائية التي يبيعها أو يروج لها.. ففي المطعم الصيني لا يوجد تمييز مرتبط بغياب الخبز، كما أنه في المطعم الإسلامي لا يوجد تمييز لعدم وجود لحم الخنزير. وحينما يرفض المطعم تقديم وجبة متوافرة لزبون معين، فإنه يمارس التمييز بحقه، أما في غياب الوجبة أصلا في المطعم، فلا يوجد رفض، وبالتالي لا يوجد تمييز. لقد بنى اليمين المتطرف رصيده السياسي، مع بداية الأزمة الاقتصادية في النصف الثاني من السبعينات، على قضية الهجرة، ونجح بالفعل في تضخيمها وتخويف الفرنسيين والأوربيين منها. وما يخشاه المسلمون اليوم هو أن يتحول العداء للإسلام وتغذية الإسلاموفوبيا من منهج منظومة فكرية شعبوي انتخابي متطرف إلى وسياسية تجمع قد تتلاقى حولها نخب فكرية والعلمانيين في صفوفها الليبراليين وحتى الاشتراكيين.

نيكولا ساركوزي